منابع الإيمــان

محمد سعد زغلول سالم

الجمعة ٦ مارس ١٩٧٠

لقد أدركتُ حقيقةَ الإيمان وحَتْمية الغيْبيات منذ زمَن بعيد منذ بدأتُ التفكيرَ فى هذا الجانب من حياتى فى هذا الوجود ، وأحمدُ الله أننى لم أَلقْ أية مشقة عقلية ولم أستشعِرْ أية معاناة نفسية فى إدراكى لهذه الحقيقة ، وقد كان الفضلُ فى ذلك كله راجعا إلى هداية الروح وليس إلى العقل ، فعقلى حتى الآن مازال يتساءل عن معْقولية هذا الإيمان وعن طبيعة هذه الغيْبيات .!. ويَمْضى فى تساؤله ـ عندما يَجِدْنى مُعْرِضاً عنه ـــ عن العدل فى حَمْلِ أمانة لا يذكر أنه تطوع بحَمْلها أو خُيِّرَ فى تحمُّلها ورغم ذلك ينتظره عذابُ عَجْزِه عن الإلتزام بها فى النهاية !؟، هذا فضلاً عن تساؤلاته الدائمة عن كيفية إدراك الله الشامِل وقدرته اللانهائية على أىِّ شىء وكلِّ شىء فى هذا الوجود ، فهذه التساؤلات يبعَثها فى عقلى أيُّ شىءٍ يتناهى إلى سَمْعى أو يقع عليه بصَرى حتى لو كان بعوضة هائمة تخفق بجناحيها فى الفضاء ، فما أن يرى عقلى بعَيْنَيْه بعوضةً هائمة حتى يبدأ فى التساؤل : لقد خلقَ الله ما لا يُحْصَى عَدَدُه من البعوض فهل هناك ضرورة لأن يُدْرِكَ الله ُكلَّ ما يخُصُّ وجودَ كل واحدةٍ منها .؟. حقاً قد يبدو انه ليست هناك ضرورة لمثل هذا الإدراك الإلهى لمصير كلِّ البعوض ولكن من الممكن ـــ وكثيراً ما يحدث ـــ أن تتسبَّب بعوضة فى موت إنسان وتغيير مصير وحياة آخرين ولذا فلابَّد مِن إدراك الله الشامل لكلِّ ما يخُصُّ كلَّ هذه المخلوقات مهما كانَ شأنُها ، وإذا كان الأمرُ هكذا مع مخلوقاٍت كالبعوض مع ما هىَ عليه مِن هَوانِ شأن فلا بُدَّ أن يكون كذلك مع باقى المخلوقات التى خلقها الله والتى لا يمكن حَصْرُ أعدادِها أو حتى تخيُّل أنواعِها فضلاً عن الإنسان وهو محورُ هذا الوجود ، هكذا يمضى عقلى فى تساؤلاته التى لا حدودَ لفضولها ولا نهاية لمجالاتها والتى قد تُودِى بآخرين إلى الكفر والضلال أمَّا أنا فقد أدركتُ منذ البداية أننى لن أستطيعَ أنْ أؤمِنَ بعقلى لأنَّ هذه ليست مهمة العقل ، فمهمة العقل هى معرفة الموجودات والأشياء ومحاولة معرفة الخطأ والصواب لأنَّ مجالَ عمله هو الماديات ولذا خلقه الله بالقدرة على الملاحَظة والتحليل والتركيب والإستنتاج فيما يخُصُّ كلِّ ماديات ومخلوقات هذا الوجود ، أما معرفة الحقيقة فلا سبيلَ للعقل إليها لأنَّ الله لم يمْنحْه أىَّ قدرات لمعرفة أو فهم الغيْبيات ولذا فهوَ يتخبَّط ويُمْعِن فى الشطط عندَ محاولته إدراكها أو فلسفتها دونَ جَدوى.

لقد أدركتُ منذ البداية وأَحْسَسْتُ عجزَ عقلى عن الإيمان أو الإقتناع بحقائق وغيْبيات هذا الإيمان ولذا آمَنْتُ بروحى بعيدا عن عقلى ، حقاً أننى أدركتُ بعقلى حقيقة الإيمان وجوهرَ الوجود ولكن ذلك كانَ تالِياً لإيمان روحى ، فقد أدركتُ يَقيناً أنَّ الله موجود وأنَّ الله أَزَلِى أَبَدِّى وأنَّ اللهَ واحد وأنَّ الله ليسَ كمثله شىء وأنَّ الله خالق كلِّ شىء وأنَّ الله قادر على كلِّ شىء ولكنَّ هذا الإيمان العقلى كان أقربَ الى التسليم والخضوع وجاءَ فقط بعدَ إيمان روحى ومعرفتها للحقيقة ، وكانت تلك ومازالت نعمة من الله لا يمنَحْها لكثيرين ، وحتى عندما تستغرقنى دراساتى فى الأديان كما أفعلُ الآن لا أسمح أبداً لعقلى بمراجَعة روحى أو بمجادلتها فى إيمانها ، إذ

أننى أحِسُّ أحيانا كثيرة أنَّ هذه التساؤلات ليست سِوَى وساوس شيطانية ينخرُ بها الشيطانُ فى أفكار عقلى لِعَجْزِه عن مُجابَهَة روحى ، ولذا فإننى أُطْلِقُ لعقلى وفكرى العنانَ فى طرح هذه التساؤلات والتعبير عنها بصراحةٍ ووضوح لا يتوقعْهما الشيطانُ نفسه ، هكذا أجابِهُهُ علانيةً وجهاً لوجْهٍ وأُرْدِيهِ أرضاً ثم أركله وأُشَيِّعَهُ بعيداً مهزوما مدْحوراً مصحوباً بالسخرية والإستهزاء حتى يغيبَ عن عينى إلى أن يُعاود وسَاوِسَه مرةً أخرى بعدَ حِين حيث ينتظره نفسُ المصير ،. هكذا يدور السِجالُ بينى وبين الشيطان منذ البداية وسيظلُّ يدور بيننا كما أوقِنْ حتى النهاية بغير أن تتغير النتائج أو يتغير ما يَلْقاه الشيطانُ على يدَىَّ من مصير ،.

